

## اسرائيل : بين الرأسمالية والاشتراكية

كين ميركورد

« هل يمكن أن تتعايش الرأسمالية والاشتراكية في اسرائيل ؟ » كان هذا هو السؤال الذي طرحه مؤخرا السكرتير العام لمنظمة العمل الاسرائيلية ، الهستدروت . وهو بذلك قد طرح السؤال الذي أزعج اسرائيل عبر تاريخها ، الا انه اليوم يشكل ازعاجا حادا اكثر من أي وقت مضى . ان الحلم الصهيوني المبكر ، في اقامة دولة الرفاه لليهود على ارض فلسطين ، مطروح ضمن البرنامج السياسي لحزب العمل الاسرائيلي الحاكم ، والذي يدعي بأنه حزب اشتراكي . ولكن قادة العمل الصهيونيين في اسرائيل قد غسلوا ، ورغم نياتهم الحسنة ، في اقامة دولة اشتراكية . فمع أن القطاع العام يسيطر على الاقتصاد الاسرائيلي ، إلا ان الحرية متاحة للمشروعات الخاصة في سعيها من أجل الربح . ومع ان الخدمات العامة مؤمنة الان لقطاع كبير من السكان ؟ الا ان الفروقات الاجتماعية ما زالت قائمة ، ومآسي المجتمع الرأسمالي التي تأخذ تعبيرها في الاضطراب الاجتماعي لا زالت تجتاح البلاد .

ان فشل اسرائيل في تحقيق دولة الرفاه التي تخيلها الصهيونيون الاوائل مرتبط بفشل اسرائيل في تحقيق حلم صهيوني آخر ، الحلم بوطن قومي يهودي مستقل اقتصاديا . فاسرائيل تعتمد على الدعم المالي من البلدان الرأسمالية الغربية ، وهذا الاعتماد يحد محاولاتنا في الوصول الى اهدافنا الاشتراكية . ولم يكن القادة الاسرائيليون وحدهم الذين تعين عليهم ان ينفذوا معتقداتهم الاشتراكية مع الايديولوجية الرأسمالية السائدة في الغرب ، بل تحتم على الاقتصاد الاسرائيلي ايضا ان يتقوّل بقلوب راسمالي وذلك بفعل سياسات الحكومات الغربية ومطالب الرأسماليين الاجانب . ان المساعدات التي تقدمها الحكومة الاميركية والمؤسسات المرتبطة بها ، مثل البنك الدولي ، الى الدول النامية ترمي ، كهدف اولي لها ، الى تشجيع الاقتصاد الحر والاستثمار الاجنبي الخاص بصورة خاصة (١) . ولهذا السبب ، فان القرض الذي قدمته الوكالة الاميركية للتنمية الدولية في العام الماضي لاسرائيل ، وهو قرض من اجل الاسكان بلغ ٥٠ مليون دولار ، لم يقدم الى الحكومة الاسرائيلية وانما اعطي لبنك خاص هو بنك تيفاحوت . والرأسماليون الاجانب الذين يقدمون الدعم السياسي والمالي لاسرائيل لا يفعلون ذلك من أجل لا شيء . فحين كان آل روتشيلد مثلا ، يسهمون في زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين اثناء الانتداب ، كانوا يضمون نجاح استثماراتهم الموظفة في الصناعات الرئيسية في فلسطين مثل شركة نيشر للاسمنت ، والمطاحن الكبرى ، وشركة كهرباء فلسطين . واليوم هناك الاشخاص امثال الامركي سام روتنبرج ، رئيس شركة « البونددرايف » ومؤسسة الاستثمار الاسرائيلية ، الذين يجمعون بذكاء بين العمل الخيري وجني الارباح .

ان الرأسماليين اليهود ، كغيرهم من الرأسماليين ، هم مخلوقات تسعى وراء الربح ، واسرائيل بالنسبة للكثيرين منهم ، مثل اية مستعمرة اخرى ، موجودة لكي يجري استغلالها . وطالما ظلت اسرائيل معتمدة على الرأسماليين الاجانب وحكوماتهم ، فستظل